المحاضرة الثامنة : اختلاف التاريخ الشفاهي عن المقابلة المتعمقة

ماهو التاريخ الشفاهي ؟ يعد التاريخ الشفاهي – كما اشرنا من قبل- نوعا خاصا من انواع المقابلة بمقتضاه يمضى الباحث والمبحوثون وقتا ممتدا مع بعضهم البعض وهم منهمكون في عملية القص والاصغاء . وبتعبير اخر , يعد التاريخ الشفاهي عملية مشتركة لبناء السرد . ومع ذلك , فان هذا وحده لا يميز التاريخ الشفاهي عن الاشكال الاخرى للمقابلة الكيفية . لذلك يكون السؤال الحقيقي هو : ما الذي يجعل التاريخ الشفاهي ذا طبيعة خاصة متميزة ؟ما هو الامر المتفرد في هذه الطريقة , وكيف يستعمل الباحثون الكيفيون هذه الطريقة , وما الذي تضيفه الى معرفتنا بالعالم الاجتماعي ؟ ومن اجل تقديم شرح تفصيلي للصفات الخاصة للتاريخ الشفاهي ,يتعين علينا ان نميزه عن المقابلة المتعمقة , والتي تعد اكثر البدائل قربا منه .

كما راينا سابقا , تعد المقابلات المتعمقة اسلوبا ممتازا لجمع البيانات الكيفية الغزيرة محكية من وجهة نظر الناس الذين ندرسهم . ويصدق نفس هذا الكلام على التاريخ الشفاهي . ووجه الخلاف انه عند استخدام المقابلات المتعمقة يكون لدى الباحث الذي يجرى المقابلة – في العادة – موضوع يركز عليه طوال المقابلة , كما انه يلتزم بدليل للمقابلة قد يكون – مقننا او غير مقنن الى حدما . وقد تطرح على المبحوثين , او تطرح عليهم , اسئلة مماثلة , وهو الامر الذي يتوقف على تصميم المشروع واهدافه . وتختلف مقابلات التاريخ الشفاهي عن المقابلة المتعمقة في انه بينما يكون الباحث مشتغلا بدراسة موضوع محدد , فان تنظيم هذا الموضوع قد يكون اقل تركيزا الى حد بعيد .

فالتاريخ الشفاهي يتيح لك ان تدرس فترة طويلة من حياة الشخص المبحوث اوحتى تدرس حياته كلها . وبامكانك ان تضيق نطاق هذا الموضوع , كان تقصره مثلا على صورة الجسد , او على خبرات العمل , او على خبرات المبحوث مع والديه .... الخ , الا انك – في نهاية الامر –سوف تتحصل على قصة متعمقة الى حد بعيد من كل مبحوث على حدة . وقد يضحى هذا التعمق بشيءمن التوسع في التفاصيل , نظرا لان هذا التعمق يبدا بالاسهاب في شرح بعض الخبرات المعينة على حساب استبعاد خبرات اخرى .

لا يكفى ان تقول انك تدرس لفترة طويلة من الوقت باستعمال طريقة التاريخ الشفاهي , ففي الواقع , قد لا يصدق هذا الكلام على بعض الحالات . فالامر الحاسم الذي ترتكز عليه قوة هذه الطريقة حقيقة هو ان تستطيع ان تدرس العملية ( او المسيرة : المتكونة من خطوات ومراحل متعددة ) . فان كنت تدرس حياة فتاة ابتداء من طفولتها حتى مرحلة دراستها الجامعية لكي تفهم افكارها الخاصة بصورة الجسد عندها في الوقت الحاضر , فان الذي سوف تعلمه لن يقتصر على ما تعايشه هذه الفتاة حاليا من خبرات ونظرتها الى هذه الامور , بل سيشمل كذلك العملية التي ادت بها الى الحال الذي الت اليه . وبالمثل , فان ما تحكيه الفتاة من العمليات والملابسات المتصلة بتاريخ حياتها سوف يبرز حكايتها بطرق تساعدنا على فهم التاثير الفردي داخل سياق البيئات الاجتماعية والطبيعية المحيطة بها . وهكذا , فانه بينما يركز التاريخ الشفاهي على هذه الشخصية وعلى قصتها , فان بالامكان الانتفاع به كذلك في ربط الظواهر الجزئية ( على المستوى الميكرو ) والظواهر الكلية ( على المستوى الكبير ) والخبرات الحياتية الشخصية بالملابسات التاريخية الاوسع نطاقا منها .

ووفقا لذلك , فان التاريخ الشفاهي طريقة اساسية لفهم الخبرات الحياتية باسلوب اكثر كلية وشمولا بالمقارنة مع الطرق الاخرى للمقابلة . وتتوافق هذه الطريقة مع مبادىء البحث الكيفي , كما ان بامكانها ان توفر لنا بيانات وصفية غزيرة بجانب ما توفره من الاحاطة بالعمليات الاجتماعية . وبينما تكون بعض الموضوعات اكثر تلاؤما مع طريقة بحث واحدة فقط , تكون الموضوعات ذات الابعاد التاريخية ملائمة بدرجة عالية لطريقة التاريخ الشفاهي . مثال ذلك , انك ان كنت مهتما بدراسة احد الاحداث التاريخية او احدى الفترات الزمنية وكيف عايش عدد معين من السكان هذا الحدث اوكيف عاشوا في هذه الفترة , فقد يكون التاريخ الشفاهي هو الطريقة المثلى لمثل هذه الدراسة .

استعملت بوتنج عام2000 التاريخ الشفاهي كطريقة لفهم خبرات مجموعة معينة من النساء العاملات خلال سنوات العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين . وقد كانت مهتمة – بصفة خاصة – بخادمات المنازل اللاتي قدمن مهاجرات من بعض المجتمعات الساحلية الى احدى المدن الصناعية بولاية نيوفوندلاند لغرض التوظف . وقد استعملت طريقة التاريخ الشفاهي كاسلوب لفهم كل من الخبرة المتعلقة بالهجرة والخبرة المتعلقة بالخدمة في المنازل لدى هذه المجموعة من العاملات , واللاتي كن يمثلن – في ذلك الوقت – نسبة كبيرة من النساء العاملات في تلك المنطقة . ويعد هذا النوع من البحث ذا اهمية جوهرية في ملء الثغرات الموجودة في قاعدتنا المعرفية الحالية عن معنى ان تكون انسانة ما امراة من طبقة اجتماعية معينة في زمن معين , ومكان معين , ومهنة معينة , وذلك من وجهة النظر الشخصية لتلك المراة .

وتوجد امثلة عديدة على الطريقة التي يمكن ان نبدا بها فهم الخبرات التي لم تدرس من قبل , وذلك انطلاقا من وجهة النظر المتميزة لاولئك الذين عايشوا هذه الخبرات , وذلك من خلال استعمال طريقة التاريخ الشفاهي بالاسلوب الذي اتبعته بوتنج. فباستعمال هذه الطريقة يمكن للجماعات التي تم استبعادها قبل ذلك ان تشاطرنا معرفتها القيمة . وبالاضافة الى هذه الانواع من الخبرات الواسعة التي يوفرها التاريخ الشفاهي , فانه يعد طريقة تقدر بثمن للوصول الى فهم كيف عايش الناس الاحداث التاريخية المهمة وكيف فهموها .